القصد

التزكية

سلسلة الحق والنور
الرسالة الثامنة

ميزان الاعتدال لحفظ الدين والأحوال

الجزء الأول

بقلم

الشريف الشيخ عباس السيد فاضل النقشبندي الحسني

لجنة الدعوة والإرشاد
لنقابة السادة الأشراف الهاشميين
في العراق

الطبعة الثانية
مزيد فيها

التخلية

التحلية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الرسالة الثامنة

(١)

ميزان الاعتدال لحفظ الدين والأحوال

الحمدُ لله العليم الحكيم، العفو الغفور، اللطيف الواسع العليم. والصلاةُ والسلامُ على حبيبِ رب العالمين، وخاتمِ الأنبياء والمرسلين سيدنا محمّدٍ النبيّ الأميّ، فاتحِ باب العلمِ وعينِ اليقين، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وأصحابه الأوفياء الغرّ الميامين، وتابعيه القادة الأكرمين ــ أهلُ الإيمانِ واليقينِ، والصفاءِ والإخلاصِ لله رب العالمين.

أمّا بعدُ: فالتنافسُ إلى منازل القرب والرضوان هو شأنُ أحبابِ الله الصالحين - عليهم السلام والرضوان. والناسُ بدين الله على ثلاثةِ أصنافٍ:

أهلُ العلم، وأهلُ الـتقوى، وأهلُ المعرفة بـالله ـ ﷻ؛ وللناس أن تختارَ طريقها.

ـ وأول صنف من هذه الأصناف: أهل العلـم، وهم: ورثةُ النبيّ ﷺ القائـلُ: «الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»[1]، وهذا من عظيم الشرف بعـد النبـوة : كمـا قـال تعـالى: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ ﴿٣٢﴾ ﴾[2]،وقال تعالى:﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾[3]، فقـد بَـدءَ الحـقُ

---

(١) ((صحيح البخاري)) لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي(ت٢٥٦هـ) كتاب العلم ـ باب العلم قبل القول والعمل (٣٧/١)، وأخرجه أيضاً الأمام البخاري في ((التاريخ الكبير)) بطرق متعددة؛ ((سنن أبي داود)) سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي(ت٢٧٥هـ) كتاب العلم ـ باب الحث على طلب العلم (٣٤١/٢) ((سنن الترمذي)) محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي(ت٢٧٩هـ) كتاب العلم ـ باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (٤٨/٥) ((صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان)) محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (ت٣٥٤هـ) (٢٨٩/١).

(٢) سورة فاطر.

(٣) سورة آل عمران .

سبحانه وتعالى بذاته الأقدس، وثنى بملائكته، وثلث بأهلِ العلمِ، وهذا لعظيم الشرف والفضل، والجلالة، والنبل، والتجلي من الله سبحانه وتعالى ـ عليهم، رضي الله عنهم أجمعين؛ قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾[1]، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: ((للعلماء درجات فوق درجات المؤمنين بسبعِمائة درجة ما بين الدرجتين خمسمائة عام))[2]

وكما ورد في فضلهم: قوله سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾[3] وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾[4]، وقال

---

(١) سورة المجادلة .

(٢) ((مختصر منهاج القاصدين)) عبد الله بن احمد ابن محمد ابن قدامة (ت٦٢٠هـ) (ص ١٥).

(٣) سورة الزمر .

(٤) سورة العنكبوت.

سـبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴿٢٨﴾﴾[1]، وذكر ابن عبد البرّ: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إني لأحسب الرجل ينسى العلم بالخطيئة يعملها، وإنما العالم من يخشى الله، وتلا: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[2]، فالعلماء هم: أهل الخشية من الله سبحانه، وقد ترضى الحق ـ سبحانه وتعالى ـ عن أهل الخشية في الله ـ تبارك وتعالى ـ كما قال ـ جلَّ ذكره: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾[3]، وذكر النبي محمد ﷺ أحاديث عدّة في فضل أهل العلم منها: قوله ﷺ: «فضلُ العالمِ على العابدِ كفضلي

---

(١) سورة فاطر.

(٢) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع»، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) (٢/٢٥٨).

(٣) سورة البينة.

على أدنى رجلٍ من أصحابي»[1]، وقال ـ عليه الصلاة والسلام: «من يرد الله به خيراً يفقهُ في الدينِ ويلهمهُ رشده»[2] وقال ـ عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ مَثَلَ الْعُلَمَاءِ فِي الْأَرْضِ كَمَثَلِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ يُهْتَدَى بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ فَإِذَا انْطَمَسَتْ النُّجُومُ أَوْشَكَ أَنْ تَضِلَّ الْهُدَاةُ»[3]، وقال ـ عليه الصلاة والسلام: «يبعث الله العباد يوم القيامة، ثم يميّز العلماء، فيقول تعالى لهم: يا معشر العلماء إني لم أضع علمي فيكم لأعذبكم، اذهبوا فقد غفرت لكم»[4]، وقال النبيّ

---

(١) ((سنن الترمذي)) كتاب العلم ـ باب ما جاء في فضل العلم على العبادة (٥/٥٠) وقال: حديث حسن صحيح؛ ((سنن الدارمي)) عبدالله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي(ت٢٥٥هـ) المقدمة ـ باب من قال العلم الخشية وتقوى الله (١/١٠٠).

(٢) ولفظ الحديث كما في ((البخاري ومسلم)): ((من يرد الله به خيراً يفقه في الدين)) دون زيادة: ((ويلهمه رشده)) قال العراقي في ((تخريج أحاديث الأحياء)) (١/٢١): أما قوله: ((ويلهمه رشده))، فعند الطبراني في ((الكبير)). وقال الزبيدي: ورواه مع هذه الزيادة أيضاً: أبو نعيم في ((الحلية)) عن ابن مسعود، وسنده حسن؛ ولفظه في ((الصحيحين)) و في ((مسند أحمد)) لأحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني (ت٢٤١هـ) بعد قوله: ((يفقهه في الدين)) زيادة: ((وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ)).

(٣) ((مسند احمد)) مسند باقي المكثرين ـ باب مسند أنس بن مالك (١/٣٢٧).

(٤) ((مجمع الزوائد ومنبع الفوائد)) نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت٨٠٧هـ) (١/٣٣٧)، وقال: رواه الطبراني في ((الكبير)) من طريقين ورواته ثقات.

محمد ﷺ: ﴿الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرَ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ أَوْ عَالِماً أَوْ مُتَعَلِّماً﴾[1]، وقـال ــ عليـه الصـلاة والسلام: ﴿أغد عالماً، أو متعلما، ولا تكـنْ الثالـث فتهلك﴾[2]، وقال ﷺ: ﴿أغـد عالمـاً، أو متعلمـاً، أو مستمعـاً، أو محبـاً، ولا تكن الخامسة فتهلك﴾[3].

وقال ـ عليه الصلاة والسلام: ﴿يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه، تحريـف الغـالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجـاهلين﴾[4]، وعـن أبـي أُمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قـال: ﴿يجاء بالعالم والعابد يوم القيامة فيقال للعابد:ادخل الجنة، ويقال للعالم: قف حتى تشفع للناس﴾[5]، وقـال ﷺ: ﴿ما عُبد الله بشيء أفضل

---

(١) ((سنن الترمذي)) كتاب الزهد (٣٧/١)؛ ((سنن ابن ماجه)) محمد بن يزيـد أبـو عبـدالله القزويني (ت٢٧٣هـ)كتاب الزهد ــ باب مثل الدنيا (١٣٧٧/٢).

(٢) أخرجه أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ) في ((جامع بيان العلم وفضله))؛ ((فيض القدير شرح الجامع الصغير)) زين الدين، عبد الرؤوف، محمد علي بن زين العابدين الحدادي المناوي (ت١٠٣١هـ) (١٧/٢).

(٣) رواه الطبراني في الثلاثة والبزار ورجاله موثوقون قال عطاء: قال لي مسعر: زدتنا خامسـة لم تكن عندنا قال: "والخامسة أن تبغض العلم وأهله" ((مجمع الزوائد)) (١٢٢/١).

(٤) ((السنن الكبرى)) أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي(ت٤٥٨هـ) (٢٠٩/١٠)، وصـححه ابن الوزير في ((العواصم والقواصم)) (٣٠٨/١).

(٥) أخرج البيهقي في ((شعب الإيمان))(٢٦٨/٢) من حديث جابر مثله، وزاد في آخره: ((بمـا أحسنت أدبهم)). ورواه ابن عبد البر في ((جامع بيان العلم وفضـله)) (٢٥/١) وأخـرج =

من فقهٍ في الدين، ولفَقِيهٌ وَاحِدٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِـــدٍ﴾[1] ، وقـال ــ عليـه الصلاة والسـلام: ﴿يَشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْعُلَمَاءُ ثُمَّ الشُّهَدَاءُ﴾[2]، وقال ـ عليه الصلاة والسلام: ﴿يوزنُ يـــوم القيامـــة مداد العلماء ودم الشهداء فيرجح مداد العلماء علـــى دم الشـــــهداء﴾[3]، قـال الإمـام أبـو حفـص عمـر الفاكهاني ـ رحمه الله تعالى ـ في ((شـرح الرسـالة)) على مذهب الإمام مالك بن انس ﷺ: يترجح مداد

= شيرويه بن شيويه الديلمي الهمذاني (ت٥٠٩هـ) في ((الفـردوس بمـأثور الخطـاب)) (٤٨٥/٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً يقال للعالم: ((اشفع في تلاميذك ولو بلغ عددهم نجوم السماء)).

(١) ((سنن الترمذي)) كتاب العلم ــ باب فضل الفقه على العبادة (٥/ ٣٨) ؛ ((سنن ابن ماجه)) كتاب المقدمة ــ باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (٨١/١) قال الخطيب: سـئل احمد بن حنبل عن هذا الحديث، وقيل له كأنه كلام موضوع؟ قال لا هو صحيح سمعته مـن غير واحد ((كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال)) علي بن حسام الدين المتقي الهنـدي (ت ٩٧٥هـ)، (٢١٠/٥) وقال صاحب ((المشكاة)) (ص ٥): رواه البيهقي في كتاب ((المدخل)) مرسلاً.

(٢) ((شعب الإيمان)) للبيهقي(٢٦٥/٢)، قـال إسماعيـل بـن محمـد العجلـوني الجراحـي (ت١١٦٢هـ) في ((كشف الخفا)) (٢٢٦١/٢): رواه ابن ماجه عن عثمان بلفظ: ((يشفع يوم القيامة ثلاثة .....))، وفي ((كنز العمال)): ((أول من يشفع يوم القيامة...)) (٢٦٦/١٠).

(٣) أخرجه ابن الجوزي في ((العلل)) (٨١/١)، وابن النجار عن ابن عمر ــ كمـا في ((كـنز العمال)) (٢٠٩/٥).

العلماء على دم الشهيد. قال بعضهم: هـذا مـع أن أعلى ما للشهيد دمه، وأدنى ما للعالم مـداده، ونقـل القاضي حسين بن محمد المروزي ـ رحمـه الله ـ أنـه روي عن النبيّ ﷺ أنه قال: ﴿من أحبَّ العلم والعلماء لمْ تكتبْ عليهِ خطيئة أيام حياته﴾[1].

وأورد الإمام عبد الرحمن بن الجوزي في ((التبصرة)): أنَّ معاذ بن جبل ﷺ قال: تعلَّموا العلم فإن تَعلّمَه لله خَشية، وطَلبهُ عبادة، ومُدَارسته تسبيح، والبحثُ عنه جهاد، وتعليمهُ لمن لا يعلمه صدَقة، وبذلهُ لأهلهِ قُربة، وهو الأنسُ في الوحدةِ والصاحبُ في الخلوةِ[2]؛ وقال اخبرنا ابن الحصين بسنده عن صفوان بن عسَّال أن النبي ﷺ قال: ﴿إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَطْلُبُ﴾[3].

---

(١) ((تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم)) لابن جماعة الكناني(ت٧٣٣هـ) (ص٩).

(٢) أخرج هذا الأثر ابن عبد البر في ((جامع بيان العلم وفضله)) (ص ٢٧) .

(٣) ((مسند احمد)) أول مسند الكوفيين ـ حديث صفوان بن عسال المرادي (١٩٦/٥)؛ ((سنن أبي داود)) كتاب العلم ـ باب الحث على طلب العلم (٢/ ٣٤١).

ذكر أبو سليمان الخطَّابي في معنى وَضْعها أجنحتها ثلاثة أقوال: احدها: بَسط الأجنحة. والثاني: إن المراد به التواضع لطالب العلم. والثالث: النزول عند مجالس العلم وترك الطَّيران[1]؛ لقوله ﷺ: ﴿ما من قومٍ يذكرون الله تعالى إلاّ حَفّت بـهم الملائكة﴾[2]. اهـ. وقال الإمام بدر الدين بن إسحاق ابن جماعة الكناني في ((تذكرته)): واعلم: أنه لا رتبة فوق رتبة من تشتغل الملائكة وغيرهم بالاستغفار والدعاء له، وتضع له أجنحتها، وأنه لينافس في دعاء الرجل الصالح أو من يظن صلاحه، فكيف بدعاء الملائكة، وقد اختلف في معنى وضع أجنحتها، فقيل: التواضع له، وقيل: النزول عنده والحضور معه، وقيل: التوقير والتعظيم له، وقيل معناه: تحمله عليها فتعينه على

---

(١) ((التبصرة)) عبد الرحمن بن الجوزي(ت٥٩٦هـ) (٢/٢٠٢) .

(٢) ((سنن الترمذي)) كتاب الدعوات ــ باب ما جاء في القوم الذين يجلسون فيذكرون الله عز وجل ٥/٤٥٩؛ ورواه مسلم في ((صحيحه)) بلفظ: ((لا يقعد قوم))كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ــ باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر(٤/٢٠٧٤).

بلوغ مقصده، وقال النبيّ محمد ﷺ: ﴿ما مِنْ رَجُلٍ يَسَمعُ كَلِمَةً أو كَلِمَتَين ممّا فَرَضَ الله فَيَتعلَمهُنّ ويُعلّمهنّ إلا دخَل الجنة﴾[١]، وعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: ﴿يا أَبَا ذَرٍّ لَأَنْ تَغْدُوَ فتعَلَّمَ آيةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مِائَةَ رَكْعَةٍ وَلَأَنْ تَغْدُوَ فَتعَلَّمَ بَابًا مِنْ الْعِلْمِ عُمِلَ بِهِ أَوْ لَمْ يُعْمَلْ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ أَلْفَ رَكْعَةٍ﴾[٢]، وهذا للنفل وليس للفرض، فافقه رعاك الله، وقال ـ عليه الصلاة والسلام: ﴿ مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ﴾[٣]، وورد: ﴿أربعةٌ يدخلون الجنةَ بغير حسابٍ، إمامٌ عادل، وعالمٌ عامل، وشابٌ تائب، وامرأةٌ مطيعةٌ لزوجها﴾.

---

(١) ((عمدة القاري شرح صحيح البخاري)) للعلامة محمد محمود بن احمد بدر الدين العيني (ت٨٥٥هـ) (١٨٣/٢)، وقال: أخرجه أبو نعيم في ((الحلية)).

(٢) ((سنن ابن ماجه)) المقدمة ــ باب من تعلم القرآن وعلمه ٧٩/١، قال العجلوني في ((كشف الخفاء)): رواه ابن عبد البر في فضل العلم له عن أبي ذر رفعه، وأصله عند ابن ماجه والطبراني في ((الأوسط)) بلفظ: ((باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من مائة ركعة)) (٢١٤٠/٢).

(٣) ((سنن أبي داود)) كتاب العلم ــ باب الحث على طلب العلم(٣٤١/٢) ؛ ((صحيح ابن حبان))(١/ ٢٨٩).

وعن الإمام سفيان الثوري ﷺ أنه قال: لا اعلم علماً أفضل من علم الحديث لمن أراد به وجه الله تعالى، لأن الناس يحتاجون إليه في طعامهم وشرابهم فهو أفضل من التطوع بالصلاة والصيام لأنه فرض كفائي. وقال الإمام احمد ـ رضي الله تعالى عنه: الناس محتاجون إلى العلم أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب، لأن الطعام والشراب يحتاج إليه في اليوم مرّة أو مرّتين، وأما العلم فيحتاج إليه بعدد الأنفاس. وقال سيدنا علي ﷺ وكرّم الله وجهه: كفى بالعلم شرفاً أن يدعيه من لا يحسنه، ويفرح به إذا نسب إليه، وكفى بالجهل ذماً أن يتبرأ منه من هو فيه[1]. وقال بعض السلف: خير المواهب العقل، وشر المصائب الجهل. وقال أبو الأسود الدؤلي: ليس شيء أعز من العلم، الملوك حكام على الناس، والعلماء

---

(١) «تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم» (ص ١٠).

حكام على الملوك[1]. وقال الفضيل بن عياض: عَالِمٌ عَامِلٌ مُعَلِّمٌ يُدْعَى كَبِيرًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ[2]. وقال الإمام سفيان بن عُيينة ـ رحمه الله تعالى: أرفع الناس عند الله منزلة: من كان بين الله وبين عباده، وهم: الأنبياء والعلماء، وقال أيضا ـ رحمه الله: لم يُعطَ احد من الدنيا شيئاً أفضل من النبوة، وما بعد النبوة شيء أفضل من العلم والفقه، فقيل عمن هذا قال: عن الفقهاء كلهم[3]؛ وعن سهل بن عبد الله التستري ـ رحمه الله تعالى، أنه قال: من أراد النظر إلى مجالس الأنبياء، فلينظر إلى مجالس العلماء، فاعرفوا لهم ذلك. قال الإمامان أبو حنيفة والشافعي ـ رضي الله تعالى عنهما: إن لم

---

(١) ((إحياء علوم الدين)) للإمام الغزالي (١ / ٧).

(٢) ((سنن الترمذي)) كتاب العلم ــ باب ما جاء في فضل العلم على العبادة(٥/ ٥٠) .

(٣) ((تذكرة السامع والمتكلم)) (ص ١١).

يكن الفقهاء العاملون أولياء الله فليس لله ولـيٌّ[1].

ورحمَ اللهُ القائل:

الجهلُ نارٌ لدينِ المرء يحرقهُ والعلم ماءٌ لتلك النار يطفيها[2]

ومّما يُروى عن سيدنا علي ﵁ أنه قال:

فلا تصحب أخَا الجهل وإيّـــاك وإيّـــاه

فكم من جاهلٍ أردى حليماً حين آخـــاه

يقـاس المـــرء بالمـــرء إذا مـا هـو مـاشاه

ـ وتوفيقك إلى تحقيـق هـذه المراتـب العليـة ـ عند الله ﷿ إذا اقترن العلمُ بالعمل، كما قال أهـلُ العلمِ: العلمُ هو: إدراكٌ جازمٌ مطابقٌ للواقعِ ناشئٌ عن دليل، وقالوا ﵃: والعلمُ، كلُّ علمٍ علـى وجـه الإطلاقِ والعمـوم، إنمـا هـو إدراكٌ، ولا إدراكَ مـن

---

(١) المصدر نفسه (ص ١١).

(٢) العلاّمة الإمام احمد بن عمر بن سميط.

دونِ حياةٍ، ولا حياةَ من دون روحٍ، فلا علمَ دونما روح ـ أو عمل، أي: الأتباعُ لأوامر الله ونواهيه، والعملُ بالسنة المحمدية، والتخلقُ بالقرآن الكريم، والتذللُ والانكسارُ، والحضورُ والذكرُ لله رب العالمين ـ تبارك ربنا وتعالى.

قال الإمام ابن سيرين ـ رحمه الله تعالى: كانوا [أي: الصحابة أو السلف] يتعلمون الهدى، كما يتعلمون العلم[1]، فقد قال رسول الله ﷺ: ﴿ تعلموا العلمَ، وتعلموا للعلمِ السكينةَ والوقار، وتواضعوا لمن تتعلمون منه﴾[2]. قال سفيان بن عيينة: إن رسول الله ﷺ هو الميزان الأكبر، وعليه تعرض الأشياء، على خُلُقِهِ، وسيرته، وهديه، فما وافقها فهو الحق، وما خالفها فهو باطل[3]، بمعنى أن جميع أحوال رسول

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في ((الجامع لأخلاق الراوي)) (٧٩/١).

(٢) رواه الإمام الطبراني في ((المعجم الأوسط)) أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ) (٢٠٠/٦)، ((مجمع الزوائد)) (٣٤١/١)، ((كنز العمال)) (٢٥٣/٣).

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في ((الجامع لأخلاق الراوي)) (٧٩/١).

الله ﷺ كانـــت تتمثـــل في العلـــمِ، والعمـــلِ، والأخلاقِ، لذلك وجب الامتثال لـه ﷺ والتحلـي بأحواله وأخلاقه؛ ومن ذلك قوله تعـالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[1]، ومثله قـول الإمـام مخلـد بـن الحسين ـ لأبن المبارك ـ رضي الله عنهمـا: نحـن إلى كـثير مــن الأدب أحــوج منــا إلى كــثير مــن الحـديث[2].وقـول التجـيبي المصـري[3] لابنـه وهـو يعظه: يا بـني اصـحب الفقهـاء والعلمـاء، وتعلـم منهم، وخذ من أدبهم ـ فإن ذلك أحـب إلـيَّ مـن كثير مـن الحـديث[4]. وقيـل للإمـام الشـافعي رضي الله عنه: كيف شهوتك للأدب، فقال: اسمع بالحرف منه مما لم اسمعه، فتود أعضائي أن لها أسماعـا فتـنعم بـه. قيـل:

---

(١) سورة الأحزاب.

(٢) أخرجه الخطيب في ((الجامع لأخلاق الراوي)) (١/ ٨٠).

(٣) حبيب بن الشهيد أبو مرزوق التجيبي المصري (ت١٠٩هــ) .

(٤) ((جامع بيان العلم وفضله)) (١/ ١٢٧).

وكيف طلبك له؟ قال: طلب المرأة المضلة ولدها وليس لها غيره[1]؛ فقد قال رسول الله ﷺ: ﴿خَصْلَتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي مُنَافِقٍ حُسْنُ سَمْتٍ وَفِقْه فِي الدِّينِ﴾[2]، وقال ـ عليه الصلاة والسلام: ﴿ثلاث لا يستخفُّ بهم إلا منافقٌ: ذو الشيبة في الإسلام، وذو العلم، وإمام مقسط﴾[3]، وقال ـ عليه الصلاة والسلام: ﴿ليس من أمتي﴾ وفي رواية: ﴿ليس منا﴾ ﴿من لم يُجلّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالِمنا حقّه﴾[4]. فليحذر الذين يطلقون ألسنتهم بالاستنقاص من أهل العلم والعلماء؛ لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟

---

(١) «مناقب الشافعي» للبيهقي (٢/-١٤٣-١٤٤) .

(٢) «سنن الترمذي» كتاب العلم ــ باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (٥/ ٤٩)؛ «المعجم الأوسط»(٨/ ٧٥).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠٢/٨)، وفي «كنز العمال» (٥٦٥/١)، و«فيض القدير» (٣٢٨/٣) بلفظ: «لا يستخف بحقهم ...».

(٤) «مسند احمد» باقي مسند الأنصار ــ حديث عبادة بن الصامت (٥/ ٣٢٣)، والطبراني في «الكبير» (١٥٤/٣-١٥٥)، وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (ص٣٥٨).

بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴿٥٨﴾﴾[1]، ولقوله تعالى في الحديث القدسي: ﴿مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ﴾[2].

قال الحافظ الكبير والعلامة الجليل ابن عساكر الدمشقي ـ رحمه الله تعالى: ((وأعلم يا أخي وفقنا الله وإياك لمرضاته وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته أن لحوم العلماء (رحمة الله عليهم) مسمومة وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة؛ لأن الوقيعة فيهم بما هم منه براء أمره عظيم، والتناول لأعراضهم بالزور والإفتراء مرتع وخيم، والاختلاق على من اختاره الله منهم لنعش العلم خلق ذميم، والإقتداء بما مدح الله به قول المتبعين من الإستغفار لمن سبقهم وصف كريم إذ قال مثنياً عليهم في كتابه وهو بمكارم الأخلاق وضدها عليم

---

(١) سورة الأحزاب.

(٢) ((صحيح البخاري)) كتاب الرقاق ــ باب التواضع(٥/ ٢٣٨٤) ؛ ((صحيح ابن حبان)) (٢/ ٥٨) ، وعند الطبراني في ((المعجم الكبير)) (١٢/ ١٤٥) بلفظ: ((فقد ناصبني بالمحاربة)) وفي ((مجمع الزوائد)(١٠/ ٤٧٦) بلفظ: ((فقد استحل محاربتي)).

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾[1]، ومخالفة النبي ﷺ في نهيه عن الاغتياب وتعمد سب الأموات أمرٌ جسيم ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣﴾[2] [3]، ولقوله ﷺ: ﴿إذا لعن آخر هذه الأمة أولها فمن كان عنده علم فليظهره فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل على محمد ﷺ﴾[4] وقال الإمام عكرمة رضي الله عنه: إياكم أن تؤذوا أحداً من العلماء، فإن من آذى عالماً فقد آذى رسول الله ﷺ.

- وشرطُ العالِم أن يعظَ نفسَهُ، فيجب عليه أن يُطهر ظاهره وباطنه من الأخلاق الرديئة: كما قال

---

(١) سورة الحشر.

(٢) سورة النور.

(٣) ((تبيين كذب المفتري)) لعلي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي(ت٥٧١هـ) (ص٢٩).

(٤) ((المعجم الأوسط)) (١/ ١٣٦)، ((كنز العمال)) (١٠/ ٣٩٠).

الله سبحانه: ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ ﴿١٢٠﴾﴾[1]، أي: يجب التنزه من الأخلاق الرديئة، ومنها: الغل، والحسد، والبغي، والغضب لغير الله تعالى، والغش، والكبر، قال أبو وهب المروزي: سألت ابن المبارك رضي الله عنه عن الكبر؟ فقال: أن تزدري الناس، وسألته عن العجب؟ فقال: أن ترى أن عندك شيئاً ليس عند غيرك[2]، ويتجنب: الرياء، والعجب، والسمعة، والبخل، والخبث، والبطر، والطمع، والفخر، والخيلاء، والتنافس في الدنيا، والمباهاة بها، والمداهنة، والتزين للناس، وحب المدح بما لم يفعل، والعمى عن عيوب النفس، والاشتغال عنها بعيوب الخلق، والحَمِيّة والعصبيّة لغير الله، والرغبة

---

(١) سورة الأنعام.

(٢) ((شعب الإيمان)) (٣٠٣/٦)، ((تاريخ الإسلام)) لأبي عبد الله محمد بن احمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨)(١٣٨٢/١) .

والرهبة لغير الله تعالى، والغيبة، والنميمة، والبهتان، والكذب، والفحش بالقول، واحتقار الناس، ولو كانوا دونه؛ فالحذر ثم الحذر من هذه الصفات الخبيثة، والأخلاق الرديئة؛ فإنها باب كل شر بل هي الشر كله، ويتساهل الناس في زماننا، والعياذ بالله ـ في هذه الطامات، وخاصة الحسد، والعجب، والرياء، واحتقار الناس، وحب الدنيا، ومن أراد الإطلاع والمزيد، فعليه بكتب الرقائق، وخاصة الكتاب النفيس المسمى بـ «الرعاية لحقوق الله» للإمام المحاسبي رضي الله عنه.

وكما يجب على العالم: أن يتحلى بالأخلاق المرضية، وهي: دوام التوبة، والإخلاص، واليقين، والتقوى، والصبر، والرضا، والقناعة، والزهد، والتوكل، والتفويض، وسلامة الباطن، وحسن

الظـن، والتجـاوز، والتحمـل، والإيثـار، وحسـن الخلق، ورؤية الإحسان، وشـكر النعمـة، والشـفقة، والغيرة على خلق الله تعالى، والحياء من الله تعـالى، ومـن النـاس لله، ومحبـة الله تعـالى، وهـي: الخصـلة الجامعة لمحاسن الصفات الحميدة كلها، وإنما تتحقق بمتابعـــة الرســـول ﷺ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾[1]، وأن تحب من أحب الله، والطريق الموصل إلى محبته: كما قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَالْعَمَلَ الَّذِي يُبَلِّغُنِي حُبَّكَ»[2].

فلا تكن كمن انشغلَ بتـزيين إنـاء دواءِه عـن دائه إلى أن اخذَ به المرضُ بعد ذلك لطولِ التزَين، فأصبح العلاجُ غير نـافع، فقتـلَ نفسَـهُ، إذن: يجـب

---

(١) سورة آل عمران .

(٢) ((سنن الترمذي)) كتاب الدعوات ــ باب ما جاء في عقد التسبيح باليد.

التخلي من الرذائل النفسانية، والتحلي بالأخلاق المرضية ـ عند الله سبحانه، وقد حذر الشارع الحكيم من التغافل عنها.

والتحذير من كتمان العلم ـ عن هذه الأمة المرحومة : كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾[1]، وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾[2]، وقال جلّت عظمته: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ

(١) سورة البقرة.

(٢) سورة الصف.

(٣) سورة الأحزاب.

يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾[١]،

قال الإمام البيضاوي في تفسيره لهذه الآية: أي الذين يتأتى منهم اللعن من الملائكة والثقلين إلا الذين تابوا عن الكتمان وسائر ما يجب أن يتاب عنه وأصلحوا ما افسدوا بالتدارك وبينوا مابينه الله في كتابه لتتم توبتهم، وقيل: ما أحدثوه من التوبة ليمحوا به سمة الكفر عن أنفسهم ليقتدى بهم أضرابهم ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ﴾ بالقبول والمغفرة ﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ــ المبالغة في قبول التوبة وإفاضة الرحمة. اهـ[٢].

---

(١) سورة البقرة .

(٢) ((أنوار التنزيل وأسرار التأويل)) القاضي ناصر الدين ابوالخير، عبدالله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي الشافعي (ت٦٨٥هـ)،(١/٤٣٣).

فعلى العالم أن لا يكتم علماً: فقد قال رسول الله ﷺ: ﴿مَنْ كَتَمَ عِلْمًا يَعْلَمُهُ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَجَّمًا بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ﴾[1]، ولقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾[2]، ولقوله ـ جلَّ ذكره: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾[3]، وقال ـ جلَّ شأنه: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾﴾[4]، واعلم: إن الذكرى لها مراتب ثلاث: المرتبةُ الأولى: التبليغُ، والمرتبةُ الثانية: رفعُ الكتمان، والمرتبةُ الثالثة: الانتفاعُ ـ أي: وجوب التبليغ، وإن لم ينتفع؛ كما قال ـ جلّت عظمتهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ

(١) ((مسند احمد)) باقي مسند المكثرين ـ باقي المسند السابق(٢/٤٩٩)؛ ((المعجم الكبير))٥/١١ قال العجلوني في ((كشف الخفاء))(٢/ ١٥٨٣): رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم وصححه عن أبي هريرة وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٢) سورة البقرة.

(٣) سورة آل عمران.

(٤) سورة الأعلى.

﴿ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦﴾[1]، فالأجرُ حاصلٌ بالتبليغِ: قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ ٤٠﴾[2]، قال الإمام مالك ـ رحمه الله تعالى: ((بلغني أن العلماء يسألون يوم القيامة عن تبليغهم العلم كما تُسأل الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام))[3].

إذن: فهو: العلمُ، والعملُ، والتبليغُ الخالص لوجهِ اللهِ ﷻ: كما قال الله سبحانه: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٥﴾[4].

---

(١) سورة البقرة .

(٢) سورة الرعد.

(٣) ((فتح المغيث)) لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (٢/٣١٣)، وفي ((حلية الأولياء)): "قال الإمام مالك: بلغني أن العلماء يسألون يوم القيامة عما يسأل عنه الأنبياء" (٦/٣١٩).

(٤) سورة الشورى .

وعلى العالم أن لا يُداهن على حساب الحق ـ ليرضي الناس، فقد حذر النبيّ محمد ﷺ من ذلك فقال: ﴿مَن الْتمَسَ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ وَمَنْ الْتمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكّلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾[2]، فبقاء الخيرية في هذه الأمة إذا أمرت بالمعروف، ونهت عن المنكر، وإذا لم تفعل أي: أمة الإسلام، عاقبهم الله بذلك، ويعمهم البلاء والفتن وذلك لتركهم تغيير المنكر وانغماسهم بالشهوات وتغليب الأهواء على حساب الحق، كما في زماننا هذا ـ وهذا سرُّ العقاب كما هو واقع الحال: لقوله

---

(١) ((سنن الترمذي)) كتاب الزهد(٦٠٩/٤) ؛وفي ((صحيح ابن حبان)) (٥١١/١) بلفظ: ((من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله، ومن اسخط الله برضا الناس وكله الله إلى الناس)).

(٢) سورة آل عمران .

سبحانه: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥﴾[1]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ((إن أمر المؤمنين أن لا يقروا المنكر بين أظهرهم فيعمهم الله بالعذاب فيصيب الظالم وغير الظالم))[2]، وقال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ وَلَا يُغَيِّرُوهُ أَوْشَكَ اللَّهُ أَنْ يَعُمَّهُمْ بعِقَابه﴾[3]، وقال رسول الله ﷺ: ﴿ مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنْ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُور مَنْ تبعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنْ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا﴾[4]، وقال ـ عليه الصلاة والسلام: ﴿ألا أخبركم عن الأجود الأجود، الله الأجود الأجود، و أنا أجود ولد آدم، وأجودهم من بعدي رجل عَلَمَ علماً فنشر

---

(١) سورة الأنفال.

(٢) ((تفسير القرطبي)) (٧ / ٣٩١) .

(٣) ((مسند احمد)) مسند العشرة المبشرين بالجنة ــ مسند أبي بكر الصديق(١/ ١٥)؛ ((كنز العمال)) (٣/ ١٣٩).

(٤) ((مسند احمد)) باقي مسند المكثرين ــ باقي المسند السابق(٢/ ٣٩٧)؛ ((صحيح مسلم)) كتاب العلم ــ باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة (٤/٢٠٥٨) ((سنن أبي داود)) كتاب السنة ــ باب لزوم السنة (٢/٦١٢).

علمه يُبعث يوم القيامة أمّة وحده، ورجل جاد بنفسه لله عز وجل حتى يُقتل ﴾[1].

ومن رحمات نشر العلم ابتغاءً لوجـهِ اللهِ ﷻ ، إكرامه تعالى لـك برحمـة تلاحقـك إلى قـبركَ قبـل آخرتك: لقول رسول الله ﷺ: ﴿ مَا مِنْ رَجُلٍ يُنْعِشُ[2] لِسَانَهُ حَقًّا يُعْمَلُ بِهِ بَعْدَهُ إِلَّا أَجْرَى اللَّهُ عَلَيْهِ أَجْرَهُ إِلَـى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ وَفَّاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ثَوَابَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[3]، وقال ـ عليه الصلاة والسـلام: ﴿ إِذَا مَاتَ الْإِنسَـانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِـهِ وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَـدْعُو لَـهُ﴾[4]. وقـال ـ عليـه الصـلاة والسـلام: ﴿إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَـنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَـالِحًا تَرَكَـهُ، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّـبِيلِ

---

(١) ((مسند أبي يعلى)) أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلـى الموصـلي التميمـي(ت٣٠٧هـ) (١٧٦/٥)، و ((مجمع الزوائد)) (٤٠٦/١).

(٢) أي: يُدرب ويقوي .

(٣) ((مسند احمد)) باقي مسند المكثرين ــ باب باقي المسند السابق(٣/ ٢٦٦).

(٤) ((سنن الترمذي)) كتاب الأحكام ــ باب في الوقف(٣/ ٦٦٠)؛ ((سنن النسـائي)) كتـاب الوصايا ــ باب فضل الصدقة عن الميت(٢٥١/٦) .

بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِـهِ فِـي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ﴾[1].

ورحم الله المحدث الجليل الإمام السيوطي حيث قال:

إذا مات ابن آدم ليس يجري	عليه من فعال غير عشرِ
علومٌ بثها ودعاء نَجْلِ	وغرس النخل والصدقات تجري
وراثة مصحفٍ، ورباط ثغر	وحفر البئر، أو اجراءُ نهرِ
وبيتٌ للغريب بناه يأوي	إليه ، أو بناءُ محلِ ذكرِ
وتعليم لقرآن كريم	فخذها من أحاديثٍ بحصرِ

ـ ومما يجب التحذير منه: أن لا تُسْتَغل رحمةُ العلم للمظاهر، والمصالح الدنيوية الدنيئة، التي تؤثر على الدين والأمة: كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾[2]، روى الدارمي بسنده إلى ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ

---

(١) ((سنن ابن ماجه)) المقدمة ـــ باب ثواب معلم الناس الخير (١/٨٨)؛ ((كنز العمال)) (١٥/١٣٩٢)، وقال: أخرجه ابن ماجه وإسناده حسن؛ ((كشف الخفاء)) (٢/ ١٧٧٢).

(٢) سورة آل عمران.

انه قال: ((لَا يَكُونُ الرَّجُلُ عَالِمًا حَتَّى لَا يَحْسُدَ مَنْ فَوْقَهُ وَلَا يَحقِرَ مَنْ دُونَهُ وَلَا يَبْتَغِي بِعِلْمِهِ ثَمَنًا))[1]، وقال ـ عليه الصلاة والسلام: ﴿مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنْ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَعْنِي رِيحَهَا ﴾[2]، وقال ـ عليه الصلاة والسلام: ﴿مَنْ تَعَلَّمَ عِلْماً لِغَيْرِ اللَّهِ أَوْ أَرَادَ بِهِ غَيْرَ اللَّهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ﴾[3]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنه قال: ﴿أَوَّلُ النَّاسِ يُقْضَى لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ ﴾، وفيه: ﴿وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ

---

(١) ((سنن الدارمي)) المقدمة ــ باب من قال العلم الخشية وتقوى الله (١/ ١٠٠)؛ وفي لفظ آخر له عن أبي حازمٍ قال: ((لَا تَكُونُ عَالِمًا حَتَّى يَكُونَ فِيكَ ثَلَاثُ خِصَالٍ لَا تَبْغِي عَلَى مَنْ فَوْقَكَ وَلَا تَحْقِرُ مَنْ دُونَكَ وَلَا تَأْخُذُ عَلَى عِلْمِكَ دُنْيَا)) وفي ((مصنف ابن ابي شيبة)) لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي(ت٢٣٥هـ):((لا يكون رجل من أهل العلم حتى)) (٧/ ١١٧)؛ وفي ((حلية الأولياء)) ((لا يكون الرجل من العلم بمكان حتى)) (١/ ٣٠٦).

(2) ((سنن أبي داود)) كتاب العلم ــ باب في طلب العلم لغير الله تعالى(٢/٣٤٦) ؛((سنن ابن ماجه)) المقدمة ــ باب الانتفاع بالعلم والعمل به (١/ ٩٢)، قال الحاكم في ((المستدرك)): هذا حديث صحيح سنده ثقات على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٣) ((سنن الترمذي)) كتاب العلم ــ باب ما جاء فيمن يطلب بعلمه الدنيا (٥/ ٣٣)؛ ((سنن النسائي الكبرى)) (٣/ ٤٥٧) ((كنز العمال)) (١٠/٣٦٤).

وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ﴾[1]، وعن بشر بن الحارث ((الحافي)) رضي الله عنه قال: أوحى الله إلى داود عليه السلام قال: ﴿لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتونا فيصدك بشكٍ عن محبتي، اولئك قطاع الطريق على عبادي﴾[2]، وعن حماد بن سلمة ـ رحمه الله تعالى ـ قال: من طلب الحديث لغير الله تعالى مُكِرَ به[3].

اللهم نسألك السلامة في ديننا ودنيانا، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ عِلْماً نَافِعاً وَرِزْقاً طَيِّباً وَعَمَلاً مُتَقَبَّلاً.

ـ وللأمانة والفائدة، فإنه مما يُحَذر منه علماءُ الأنساب: أن تُحفَظَ هالة أقمار الدنيا، وأغصان

---

(١) ((مسند احمد))باقي مسند المكثرين ــ باقي المسند السابق (٢/ ٣٢١) ؛((صحيح مسلم)) كتاب الإمارة ــ باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار (٣/ ١٥١٣)؛ ((سنن النسائي)) كتاب الجهاد ــ باب من قاتل ليقال فلان جريء (٦/٢٣)، قال الحاكم في ((المستدرك)) (٢/ ١٢٠): هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجه البخاري.

(٢) ((بستان العارفين)) محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي الشافعي (ت٦٧٦هـ) (ص٨٠).

(٣) ((تذكرة السامع والمتكلم)) (ص١٤).

دوحة الشرف، وفروع الأنوار النبوية بالعرق الطاهر المحمدي ـ صلوات ربي عليه، في أمانة النسب الشريف ـ من الداخل والخارج فيه، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۝٥ ﴾[1]، أي: لا يجوز نسبة أي إنسان أو انتسابه لغير نسبه الصحيح، لصريح الأمر في الآية الشريفة، ولقول النبيّ محمد ﷺ: ﴿ لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ أَوْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ﴾[2]، وقال ـ عليه الصلاة والسلام: ﴿ مَنْ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ أَوْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[3]، وقال أيضاً ـ عليه الصلاة والسلام:

---

(١) سورة الأحزاب.

(٢) ((مسند احمد)) مسند الشاميين ــ باب حديث عمرو بن خارجة (١٨٦/٤)؛ ((مصنف عبد الرزاق)) أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت٢١١هـ) (٤٨/٩).

(٣) ((مسند احمد)) مسند بني هاشم ــ باقي المسند السابق (١/ ٨١) ((صحيح ابن حبان)) (٢/ ١٦١) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

﴿اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ﴾[1].

ولحفظ روح النسب العريق، بالدين الحنيف:

ليُحْفَظ نسب الله سبحانه، ونسب رسول الله ﷺ.

واعلم: أن نسب الله تعالى هو: التقوى، فالله ﷻ واحدٌ لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، أزليٌ أبديٌ، قدوسٌ في ذاته، وصفاته، وأفعاله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾[2]، ألا وإن نسب الله هو: التقوى: روى الإمام القرطبي في ((تفسيره))[3] عن أبي هريرة ؓ أن النبيّ ﷺ قال: ﴿إن الله تعالى يقول يوم القيامة: إني جعلت نَسَباً، وجعلتم نسباً، فجعلتُ أكرمكم أتقاكم، وأبيتم إلا أن

---

(١) ((مسند احمد)) باقي مسند المكثرين ــ باقي المسند السابق (٢/٤٩٦) ((صحيح مسلم)) كتاب الإيمان ــ باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة (١/ ٨٢).

(٢) سورة الشورى.

(٣) ((الجامع لأحكام القران)) (١٦/٢٩٢).

تقولوا: فلان بن فلان، وأنا اليوم أرفع نسبي، وأضع أنسابكم، أين المتقون أين المتقون﴾[1] اهـ .

ونسبُ رسول الله ﷺ هو: الاتصال بعرقه الطاهر - عليه الصلاة والسلام - المتصل بآل بيته الأطهار، والامتثال له - صلوات ربي عليه: أخرج مسلم: لَمَّا نَزَلَ قوله تعالى:﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾[2] قَامَ النَّبِيُّ ﷺ على الصفا، فَقَالَ: ﴿يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ يَا صَفِيَّةُ بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ﴾[3]، فرسول الله لا يملك لأحد من الله شيئاً، لا ضراً، ولا نفعاً، لكن الله ﷻ يملّكه نفع

(1) ((المستدرك))(٥٠٣/٢) ((مجمع الزوائد)) (١٦٠/٨) ((المعجم الأوسط)) (٣٨٨/٤).

(٢) سورة الشعراء.

(٣) ((مسند احمد)) كتاب باقي مسند الأنصار- باقي المسند السابق (١٨٧/٦) ((صحيح مسلم)) كتاب الإيمان - باب في قوله تعالى: ((وأنذر عشيرتك الأقربين)) (١٩٢/١) ((سنن الترمذي)) كتاب الزهد - باب ما جاء في إنذار النبي قومه (٥٥٤/٤).

أقاربه وأمته ـ بالشفاعة الخاصة والعامة ـ على قدر صلتهم وامتثالهم: كما قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَلَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ٤٩﴾[1]، ومن المعلوم في اللغة: أن الاستثناء من المثبت يفيد النفي، ومن المنفي يفيد الإثبات، والآية الكريمة تعلمنا أن النبيّ لا يملك النفع إلا ما شاء الله، أي: أنه يملك النفع بمشيئة الله. وكيف لا، والله سبحانه وتعالى، هو: الذي أعلمنا في القران المجيد، بأن خاتم أنبيائه ورسله، هو الداعي إلى الله، وهو الهادي، وهو السراج المنير، وهو صاحب الشفاعة العظمى ﷺ. فافقه. وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَـٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ

---

(١) سورة يونس.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾[1]، قـال العلاّمـة القـرطبي في تفسيره للآيـة: وفي هـذه الآيـة مـا يـدلك علـى أن التقوى هي المراعى عنـد الله تعـالى، وعنـد رسـوله دون الحسب والنسب اهـ[2].

إذن، من قدم نسبه على نسب الحق ـ سبحانه وتعالى، وهو: التقوى ـ أُخزيَ يوم الخدر الأكبر: قال تعـالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١﴾[3]؛ ومن راعـى نسبـَه بـالتقوى، رفعَ اللهُ قـدرَه فـي الـدنيـا والآخـرة، فعليـك أن تَحْفَظَ قدر آل البيت الأطهار في شأنهم الشـريف: كما قال الله سبحانه وتعـالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا

(١) سورة الحجرات.

(٢) «الجامع لأحكام القران» (١٦/٢٩٢).

(٣) سورة المؤمنون.

﴿ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ ﴿٢٣﴾﴾[1]، روى البخاري عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصديق رضي الله عنه قَالَ: ((ارْقُبُوا[2] مُحَمَّدًا ﷺ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ))[3]، وقال ـ عليه الصلاة والسلام: ﴿من حفظني في أهل بيتي فقد اتخذ عند الله عهداً﴾[4]، وعن سيدنا علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿أربعة أنا لهم شفيعٌ يوم القيامة المكرم لذريتي، والقاضي حوائجهم، والساعي في أمورهم عند اضطرارهم إليه،والمحب لهم بقلبه ولسانه﴾[5]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ

---

(١) سورة الشورى.

(٢) أحفظوا .

(٣) ((صحيح البخاري)) كتاب المناقب ــ باب مناقب قرابة رسول الله ومنقبة فاطمة بنت النبي (١٣٦١/٣).

(٤) ((الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة)) لأحمد بن حجر الهيتمي (ت٩٧٤هـ)(ص ١٥٠) وقال: أخرجه أبو سعيد والملا علي القاري في ((سيرته)).

(٥) رواه الديلمي من طريق عبد الله بن احمد بن عامر عن أبيه عن علي بن موسى الرضا عن آبائه عن علي ــ كرم الله وجهه ((كنز العمال)) (١٨٨/١٢).

﴿ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾[1]. فَعَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ رَبِيبِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ ـ رضي الله عنها ـ فَدَعَا فَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَجَلَّلَهُمْ بِكِسَاءٍ وَعَلِيٌّ خَلْفَ ظَهْرِهِ فَجَلَّلَهُ بِكِسَاءٍ ثُمَّ قَالَ:﴿اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا﴾ قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: وَأَنَا مَعَهُمْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: ﴿أَنْتِ عَلَى مَكَانِكِ وَأَنْتِ عَلَى خَيْرٍ﴾[2]، وفي رواية أخرى عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أيضاً: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَلَّلَ عَلَى الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ كِسَاءً ثُمَّ قَالَ: ﴿اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَخَاصَّتِي أَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ

---

(١) سورة الأحزاب.

(٢) ((سنن الترمذي)) كتاب تفسير القرآن ــ باب ومن سورة الأحزاب (٥/٣١٥).

تَطْهِيرًا﴾ فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: وَأَنَا مَعَهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ﴿إِنَّكِ إِلَى خَيْرٍ﴾ [1].

واعلم: أن الصلة برسول الله ﷺ منازل.

أولاً: الأيادي الموصولة برسول الله ﷺ عن طريق رجال علماء الكتاب والسنة، وتسمى: ((علوم الجادة الشرعية)).

ثانياً: الصلة ـ بشمائله وصفاتهِ كابراً عن كابر إلى رسول الله ﷺ، وهو الاقتداء بحالِ رسول الله ﷺ وأخلاقه العظمى، ويسمى: ((عمل الروح في الإسلام)).

ثالثاً: الاتصال بحضرة خاتم النبيين ـ صلى الله عليه وعليهم أجمعين ـ المتصل بأهل بيته الأطهار ـ عليهم السلام والرضوان ـ ويسمى: ((النسب الشريف)).

---

(١) ((مسند احمد)) باقي مسند الأنصار ـ حديث أم سلمة زوج النبي(٦/٣٠٤) ((سنن الترمذي)) كتاب المناقب ـ باب ما جاء في فضل فاطمة بنت محمد (٥/٦٩٩) .

اللهم اجعلنا على الإتباع، والمحبة، والصلة العظمى برسول الله ﷺ بالدين الكامل، لوجهك الخالص، لخدمة هذه الأمة المرحومة. اللهم آمين.

ـ ومما يجبُ على العالم أن يبينه للناس ـ الرّدةُ ـ والعياذ بالله تعالى ـ وأنواعُها؛ لأنه يجب على كل مسلم حِفظُ إسلامه وصونُهُ عمَّا يفسدهُ ويبطلهُ ويقطعهُ وهو الرِّدةُ والعياذ بالله تعالى، قال النوويّ وغيرهُ: (الردّةُ أفحشُ أنواعِ الكفر). وقد كثُرَ في هذا الزمان التساهلُ في الكلام حتى إنهُ يخرجُ من بعضهمْ ألفاظٌ تُخرجُهُم عن الإسلام ولا يَرَوْنَ ذلك ذنباً فضلاً عن كونهِ كفراً، وذلك مصداق قوله ﷺ: ﴿إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لَا يَرَى بِهَا بَأْسًا يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النَّارِ﴾[1] أي مسافةَ سبعين

---

(١) ((سنن الترمذي))كتاب الزهد ــ باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس (٥٥٧/٤) وفي معناه حديث رواه البخاريُ كتاب الرقاق ــ باب حفظ اللسان وقول النبي من كان يؤمن=

عاماً في النزول، وذلكَ منتهى جهنَّم، وهو خاصٌ بالكفار. وهذا الحديثُ دليلٌ على أنّه لا يُشترطُ في الوقوع في الكفر معرفةُ الحكم ولا انشراحُ الصِّدرِ ولا اعتقادُ معنى اللفظِ كما في كتاب ((فِقه السُّنة))[1]. وقد ذكر الفقهاء الحنفيُّون والشافعيُّون وغيرهم أمثلة لثبوت الكفر بالقول حين الغضب مما يشهد لعدم اشتراطِ انشراح الصدر لكلمة الكفر لغير المكرَه، ومن ذلك أن إنساناً لو ضَرَبَ ابنَه أو غلامَه ـ أي: عبده ـ ضرباً شديداً فقال له رجلٌ: أَلسْت مسلماً؟ فقال: لا متعمداً كَفَرَ، ذكره النووي في ((روضة الطالبين)) في كتاب الردة[2]

= بالله واليوم الآخر (٢٣٧٧/٤) وفي ((صحيح مسلم)) كتاب الزهد والرقاق ـ باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار(٢٢٩٠/٤) قوله صلى الله عليه وسلم: ((إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب)).

(١) ((فقه السنة)) للسيد سابق (٤٥٣/٢) .

(٢) ((روضة الطالبين)) (٦٨/١٠).

ومعنى قوله: ((متعمدا)) أي: بغير سبق لسان، وهـذا مثالٌ من كثير من أمثلة تكفير من نطق بلفـظٍ مـن ألفاظ الردة وهو غضبان غير منشرح البال لما يقوله حيـث إنهـم كَفَّـروه لقولـه وهـو غاضـبٌ: لسـت مسلماً.

والردة ثلاثةُ أقسام كما قسَّمَـها النووي وغـيرُه من شـافعيةٍ وحنفيـةٍ وغيرهـم: اعتقـاداتٌ وأفعـالٌ وأقوالٌ وكلٌّ يتشعَّب شعباً كثيرة.

فمـــن الأول: الشـــكُّ في الله أو في رســـولهِ أو القران أو اليوم الآخرِ أو الجنةِ أو النارِ أو الثـوابِ أو العقابِ أو نحـو ذلـك ممـا هـو مُجمـعٌ عليـه، أو اعتقادُ قِدَمِ العالم أو أزليّتِهِ بجنسِهِ وتركيبِهِ أو بجنسِـهِ فقط، أو نفيُ صفةٍ من صفاتِ الله الواجبة له إجماعاً ككونه عالِماً أو نسبةُ ما يجب تنزيهُـهُ عنـهُ إجماعـاً

كالجسمِ أو تحليلُ محرَّمٍ بالإجماع معلومٍ من الدين بالضَّرورة مما لا يخفى عليه كالزنى واللواطِ والقتلِ والسرقةِ والغصبِ. أو تحريمُ حلالٍ ظاهر كذلك كالبيع والنكاح، أو نفيُ وجوب مجمعٍ عليه كذلكَ كالصلوات الخمس أو سجدةٍ منها والزكاة والصوم والحجِّ والوضوء. أو إيجابُ ما لم يجبْ إجماعاً كذلك. أو نَفْيُ مشروعيةِ مجمعٍ عليه كذلك. أو عَزَمَ على الكفر في المستقبلِ أو على فعل شئ مما ذكرَ أو تردَّد فيه، لا خطورُهُ في البال بدون إرادةٍ. أو أنكرَ صحبةَ سيدنا أبي بكر رضي الله عنه أو رسالة واحدٍ من الرسل المجمعِ على رسالتهِ أو جحَدَ حرفاً مجمَعاً عليه من القران، أو زادَ حرفاً فيه مجمعاً على نفيه معتقداً أنّه منهُ عناداً أو كذّبَ رسولاً أو نقّصَهُ أو صغَّرَ اسمَهُ بقصد تحقيرِهِ أو جوَّزَ نُبوّةَ أحدٍ بعدَ نبينا محمد ﷺ.

والقسم الثاني الأفعال: كَسُجودٍ لصنمٍ أو شمسٍ أو قمرٍ وهذا كفر مطلقاً. وكذلك سجودُ بعض الناس الذين يتعلمون السحرَ للشيطانِ كفرٌ مطلقاً. وكذلك السجودُ لمخلوقٍ آخرَ على وجهِ عبادتهِ. أما السُّجودُ لإنسانٍ تحيةً فإنه يحرمُ في شَرعِنا وكان جائزاً في شرعِ من سبقَ من الأنبياءِ كسجود الملائكةِ لآدمَ فإنَّه كانَ على وجهِ التَّحيةِ.

والقسمُ الثالث الأقوالُ: وهي كثيرةٌ جداً لا تنحصرُ منها: أن يقولَ لمسلم يا كافرُ أو يا يهوديُّ أو يا نصرانيُّ أو يا عديمَ الدين مريداً بذلك أنَّ الذي عليه المخاطبُ منَ الدين كفرٌ أو يهوديةٌ أو نصرانيةٌ أو ليس بدين لا على قصد التشبيهِ، وكالسخرية باسمٍ من أسمائه تعالى أو وعدِهِ أو وعيدِهِ ممَّن لا يخفى عليه نسبةُ ذلكَ إليهِ سبحانَهُ،

وكأنْ يقـولَ لـو أمرنـي الله بكـذا لم أفعلْـهُ أو لـوْ صارت القبلةُ في جهةِ كذا ما صلّيتُ إليهـا، أو لـو قبلتهم، أو قال لا أفعل كذا وإن كـان سُـنّة بقصـد الاستهزاءِ، أو لو كـان فـلان نبيـاً مـا آمنـت بـه أو أعطاهُ عالِم فَتوى فقال: أيـش هـذا الشـرعُ مريـداً الاستخفافَ بحُكْمِ الشرعِ أو قال لعنةُ الله على كـلِّ عـالمٍ مريـداً الاسـتغراقَ الشـاملَ أمـا مَـن لم يُـرد الاستغراقَ الشاملَ لجميـع العلمـاءِ بـل أرادَ لعـنَ علماءِ زمانهِ وكانت هناك قرينةٌ تدلُّ على ذلـكَ لمـا يظنُّ بهم من فسادِ أحوالِهم فإنهُ لا يكفر وإن كان كلامُهُ لا يخلو من المعصيةِ. أو قال أنا بريءٌ مـن الله أو من الملائكةِ أو من النبيِّ أو من الشريعةِ أو مـن الإسلام أو من قال لا اعرف الحكم مستهزئاً بحكـم

الله، أو قـال وقـد مـلأ وعـاءً ﴿وَكَأۡسٗا دِهَاقٗا ٣٤﴾[1] أو أفرغَ شراباً فقال: ﴿فَكَانَتۡ سَرَابًا ٢٠﴾[2] أو عنـدَ وزنٍ أو كيـلٍ ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢﴾[3] أو عنـد رؤيـة جمـعٍ ﴿وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ٤٧﴾[4]، بقصـدِ الاسـتخفاف في الكـلّ بمعنـى هذه الآيات، وكذا كلُّ موضع استعملَ فيـه القـرانُ بذلك القصدِ فإن كان بغير ذلك القصدِ فلا يكفـرُ لكنْ قال الشيخ احمد بـن حجـر: لا تبعُـدُ حرمتُـهُ. وكذا يكفرُ من شتم نبيّاً أو ملكاً أو قال أكونُ قوّاداً إن صـلّيت أو مـا أصـبتُ خـيراً منـذ صـلّيتُ أو الصـلاةُ لا تصـلح لـي بقصـدِ الاسـتهزاء. أو قـال

---

(١) سورة النبأ.

(٢) سورة النبأ.

(٣) سورة المطففين .

(٤) سورة الكهف.

لمسلمٍ أنا عدُوُّكَ وعدوُّ نبيّكَ، أو لشريف أنا عدوُّك وعدوُّ جدِّك، مريداً النبيّ ﷺ. أو يقول شيئاً من نحو هذه الألفاظ البشعةِ الشنيعةِ. وقد عدَّ كثيرٌ من الفقهاء كالفقيه الحنفي بدر الرشيد [1] والقاضي عياض المالكي ـ رحمهما الله ـ أشياءَ كثيرةً فينبغي الإطلاعُ عليها فإنَّ من لم يعرفِ الشرَّ يقعُ فيهِ.

والقاعدةُ أنَّ كلَّ عقدٍ أو فعلٍ أو قولٍ يدل على استخفافٍ باللهِ أو كتبهِ أو رُسُلِهِ أو ملائكتِهِ أو شعائرِهِ أو معالِم دينِهِ أو أحكامِهِ أو وعدِهِ أو وعيدِهِ كفرٌ، فليحذرِ الإنسانُ من ذلِكَ جُهدَهُ على أيِّ حالٍ، ومن أراد المزيد فليطلع على كتب المذاهب الأربعة، وغيرها من كتب الفقه الإسلامي الحنيف.

---

(١) محمد بن إسماعيل بن محمود بن محمد المعروف بـ (بدر الرشيد) فقيه حنفي من أهل القرن الثامن الهجري ألف رسالة سماها ((رسالة في ألفاظ الكفر)) (ت٧٦٨هـ).

- ويجب على مَن وقع في الردّة: العوْدُ فوراً إلى الإسلام بالنطق بالشهادتين والإقلاعِ عمَّا وقعتْ بهِ الردَّة، ويجبُ عليه الندمُ على ما صـدَرَ منـهُ والعـزمُ علـى أنْ لا يعـودَ لمثلِـهِ، فـإنْ لم يرجـعْ عـن كفـرهِ بالشهادةِ وجبتِ استتابتُهُ ولا يقبلُ منه إلا الإسلامُ أو القتلُ به ينفِّذه عليه الخليفة بعد أن يعرضَ عليه الرجوعَ إلى الإسلامِ ويعتمدُ الخليفة في ذلك شهادةِ شاهدينِ عدليـنِ أو عـلى اعترافِهِ وذلـك لحـديث البخـاري: ﴿مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَـاقْتُلُوهُ﴾ [1]. ويبطـلُ بهـا صومُهُ وتيمُّمُهُ ونكاحُهُ قبل الدخول، وكذا بعدَهُ إنْ لمْ يعد للإسـلام في العـدةِ، ولا يصـحُّ عقـدُ نكاحِـهِ على مسلمةٍ وغيرها، وتحـرمُ ذبيحتُـهُ ولا يـرثُ ولا يُورَثُ ولا يُصلَّى عليـه ولا يُغسَّـلُ ولا يُكفَّـنُ ولا يُدفَنُ في مقابرِ المسلمينَ، ومالُهُ فيءٌ. اهـ .

---

(١) «صحيح البخاري» كتاب الجهاد والسير ــ باب لا يعذب بعذاب الله (٢٦٨١/٦).

اللـــهم زدنـــا علمـــاً، وألحقنـــا بالصالـــحين، اللهم نسـألك الإتباع، ونعـوذ بـك مـن الابتـداع، اللهم احيي بنا السُنة، واخـفِ بنـا البِـدع. اللـهم وفقنا لمرضاتكَ، وجعلنا ممن يخشـاكَ ويَتقيـكَ حـق تُقاتِكَ. اللهم آمين ـ آمين. يا مولانا يا رب العالمين، والصلاة والسلام على حبيب رب العالمين ـ وخاتم النبيين والمرسلين ـ عليـه وعلـيهم أجمعـين، وعلـى أهل بيته، وأصحابه ـ أهل الصدق والصفا والوفـا، وتابعيه وتابعيهم القادة الأكرمين.

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴾ ﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢ ﴾.

خَادِمُ ٱلدِّينِ وَٱلأُمَّة

الشَّيخ عبَّاس السَّيد فاضل الحسيني النقشبندي

العِرَاق ـ سَامَراء ـ القَلعَة

سِلسِلَةُ الحَقِّ وَالنُّورِ

الرِّسَالَةُ الاولى : الشَخصية الأسلامية العالميَة .

الرِّسَالَةُ الثَانيَة : صرخَةٌ لِلدّين وَالأمُّة .

الرِّسَالَةُ الثَالثَة : مَنهجُ العَمَلِ الرّوحِي الإسلامي (التصَوف) .

الرِّسَالَةُ الرَابعَة : الهُدى وَالنورُ في الرِّسَالَةِ والخَاتِميَة .

الرِّسَالَةُ الخَامِسَة : الموازنَة بعقيدَة الغَيب .

الرِّسَالَةُ السَادِسَة : آية الصَّلاة عَلى النَبِيّ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم وفوائدها في الدنيا والآخرة .

الرِّسَالَةُ السَابعَة : مِن أحوَالِ رمضانَ وَليلته المُبَارَكَة .

الرِّسَالَةُ الثَامِنَة : مِيزَانُ الاعتِدَالِ لِحفظ الدين والأحوالِ : (٦) أجزاء .

الرِّسَالَةُ التاسعة : حَنِينُ الفُؤاد لِأهل العَقِيدة والدلالة والصَّلاح .